إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الأولى – العدد الأول – ربيع ١٣٩٠ش / آذار ٢٠١١م

بين مولانا جلال‌الدين وحافظ الشيرازى؛ دراسة موازنة فى الغزليات العربية

مهدى ممتحن*
منيرأحمد شريعتى**

الملخص

كثيرة هى الدراسات التى تناولت شعر مولانا وحافظ بالبحث والدراسة، حتى يخيل للباحث فيه أنّه لم يعد شيء من هذا الشعر إلا وأخذ نصيباً وافراً من البحث والدراسة. ولكن حين ننظر فى شعر مولانا وحافظ ثم نلقى نظرة على أبحاث الباحثين، نشاهد هناک شيئا من الأدب الإيرانى الإسلامى الذى ما اهتم الباحثون به إلا قليلاً، ألا هى الأشعار العربية عند مولانا وحافظ الشيرازى التى تحكى عن سعة البال والفكرة والمقدرة على اللغة العربية، لاسيما عند مولانا جلال الدين الرومى. ومع إعادة النظر إلى أشعارهما نرى أنّ أشعارهما مملوءة بالحكم التى تنبع من التعاليم القرآنية وفيه أيضا التأثر بالآداب العربية ولاسيما الأدب العربى فى العصر العباسى، مع سهولة فى شعرهما العربى، كما نشاهد سعة الخيال وبعض أغراض الشعر العربى عندهما.

يحاول هذا المقال أن يوازن بين الأشعار العربية لجلال الدين الرومى وحافظ الشيرازى، ويقدّم من زواية جديدة جوانب من تجربتهما الروحيّة، لتقريبهما من القارئ الذى لم تتح له فرصة الاطلاع على سيرتى صاحبيهما.

الكلمات‌الدليلية: جلال الدين الرومى، حافظ الشيرازى، التغزل، الاقتباس، التأثير والتأثر.

---

*. أستاذ مشارک بجامعة آزاد الإسلامية جيرفت.
**. خريج جامعة آزاد الإسلامية جيرفت.
Dr.momtahen@gmail.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٢/١هـ. ش
تاريخ القبول: ١٣٩٠/٢/١١هـ. ش

المقدمة

من الصعب على الباحث أن يُمْسِک بأسرار كشف علمى يدرس حافظ ومولانا أو إلهام شعرى يتأملاه. ولكنه يستطيع أن يوضح تلک الأسرار ما تهيّأ وتيسّر له الإيضاح. ومن الصعب أيضا أن يتلمس الباحث قوة الخلق والتوليد عند الشاعر إذا كان غير مختص بلغة الشاعر وآداب قومه، ولكن هاتين الصعوبتين قد يجدهما القريب كما يجدهما البعيد.

إنها قضية شاقة جدا أن يتحدث أحدنا عن حافظ أو مولوى، لأن هؤلاء كانوا يعيشون عالما لم نعشه نحن، ويسلكون واديا لن نسلكه ويبصرون أشياء لم نبصرها، لهذا ليس بإمكاننا أن نفهم اللغه التى يتحدثون بها، وعباراتهما لايدركها فكرنا القاصر ولا أفقنا المحدود. ولهذا قد يلجأ البعض إلى رمى هذا بالزندقة، وذاک بالتمرد على الشريعة، وبشرب الخمر والخوض فى لذائذ الحياة، اعتمادا على المصطلحات والمفردات التى يستخدمون هؤلاء فى أشعارهم وكتاباتهم، ناسين أنّ لهؤلاء لغة خاصة لانفهمها نحن، وإن لدينا أفقا فكريا ونفسيا يضيق عن استيعاب هذه المفردات وفهمها.

والباحثون فى شعرهما لاسيما مولانا متفقون جميعا على عذوبة ألفاظهما وبعدهما عن الكلمات النابية والعبارات الواهية، ومجمعون على ما فى هذا الشعر من إيقاع مؤثر ينجذب إليه القلب ويطرب له السمع وتفرح له النفس، إذ يصور نزعاتها الحسية والعلوية معا، وتبتهج به الروح إذ يسبح بها فى جو من الأحلام والآمال والحرية والصفاء والإبداع.

موجز من حياة الشاعرين

مولانا، سيرة حياته وآثاره

«محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين (بهاء ولد) (مولوى، لاتا: ٨) البلخى؛ يذكره أصدقاؤه وأحباؤه بمولانا الذى تعنى فى الفارسى (خداوندگار) (مولوى، ١٩٨٠م: ١١) هو أديب وفقيه وصوفى.» ولد فى السادس من ربيع الاول سنة ٦٠٤ق/ ٣٠ ديسامبر

١٢٠٧م (مولوى، لاتا: ٨) فى مدينة بلخ وهى الآن فى افغانستان. وقد لقّب بالروّمى نسبة إلى أرض الروّم، بلاد الأناضول حيث قضى معظم حياته. كان أبوه بهاء الدين ولد، من كبار علماء الدين وكان متكلما إلهيا مشهورا من شيوخ طريقة الكبرويّة (أتباع الشيخ نجم الدين كبرى). (مولوى، ١٩٨٠م: ١١) وقد تتلمذ بهاء الدين على الصوفى الكبير نجم الدين كبرى، مؤسس الطريقه الكبروية الذى تنبّأ بغزو المغول لمدينة بلخ، فنصح أتباعه ومريديه بتركها قبل فوات الأوان. وهكذا ترک بهاء الدين ولد موطنه مع صحبه وأسرته. كان جلال الدين آنذاک فى الخامسة أو السادسة من عمره، أخذت الأسرة تنتقل من مدينة إلى أخرى، وفى نيشابور التقى بالشاعر الصوفى الكبير، فريد الدين العطار. وتذكر الرّوايات أنه أخذ الطفل بين يديه وأهداه نسخة من منظومته أسرار نامه. (فروخ، ١٩٨١م، ج٣: ٦٣١) لم تمكث الأسرة طويلا فى نيشابور، فقصدت بغداد ومنها إلى مكة حيث ألقت رحلها فترة فى سورية وكانت مركزا مهما من مراكز الحضارة الإسلامية. وخلال استقرار العائلة فى هذه البلاد قام جلال الدين بعدّة زيارات لكل من حلب ودمشق. بعد هذه الرحلة الطويلة انتقل بهاء الدين ولد إلى بلاد الأناضول، أرض الروم ومن هنا جاء لقب الرومى. تلقى بهاء الدين ولد دعوة من السلطان علاء الدين كيقباد الذى جمع حوله علماء وصوفية من كل مكان فى العالم فاستقر المقام ببهاء ولد وعائلته فى قونية حيث وافاه الأجل ٦٢٨ق/١٢٣١م، فخلفه ابنه مولانا جلال الدين فى الفقة والإفتاء والتدريس وأغلب الظن أن مولانا كان يحس آنذاک أنه لم يصل لمرتبته العرفانية، وكان يحس أنه حصل من العلم الظاهرى كل ما يمكن تحصيله، وكان مغرماً بالشعر العربى وبالمتنبى خاصة، وهناک أبيات عديدة فى المثنوى تكاد تكون ترجمة لبعض أشعار المتنبى فى مواضعها من الشرح كما كان مفتونا باللغة العربية. (مولوى، لاتا: ١٢) وبفضل ما كان يتمتّع به من علم غزير ومن قدرة على التأثير، تحلّق حوله عدد كبير من الطلاب ومحبى العلم. وكان حتى ذلک التاريخ لم يؤثر عليه اهتمام واضح بالتصوف أو نظمه للشعر، ولعله أخفى ذلک لسبب من الأسباب أو للحفاظ على صورته كفقيه ورجل دين. واشتعلت نيران الحب عام ٦٤٢ق/١٢٤٤م فى يوم الإثنين. (مولوى، ١٩٨٠م: ١٤)

أو السبت، فی السادس والعشرين من جمادى الثانية التقى مولانا، وكان فی الأربعين من عمره بشخص غريب الأطوار يدعى شمس الدين محمد بن على بن ملک داد التبريزى. (مولوى، ۱۳۷۴ش: ۳۰) وهو درويش رحّاله لايقّر له قرار فقلب حياته رأسا على عقب وتحوّل الفقيه الورع ورجل الدين إلى شاعر وصوفى، لايكاد يفيق من شدة وجده. لم يتحمل طلبة مولانا أن يروا أستاذهم وهو مخلص كل ذلک الإخلاص لهذا الغريب فأضمروا له العداء، وبدأوا يضايقونه فسافر خفية إلى دمشق. فحزن جلال الدين الرومى لفراق صديقه حزنا شديدا، ولما ساءت حاله ذهب ابنه الأكبر سلطان ولد إلى دمشق وعاد بشمس. لكن جور الطلاب عليه اشتد أكثر من ذى قبل، فاختفى من جديد إلى غير رجعة هذه المرة. وتذهب أكثر الروايات إلى أن تلاميذ مولانا ومريديه هم الذين قتلوه بتحريض من ابنه الثانى. لقد مرّ شمس التبريزى مرورا سريعا فی حياة مولانا ثم اختفى فجأة تاركا فی قلبه حرقة لاتنطفیء كان من نتيجتها ديوان شعر كامل، تجلّت فيه استعداداته الشعرية كأحسن ما يكون التجلى هو ديوان شمس التبريزى، الذى كتبه تخليدا لذكرى صديقه. وتجیء قصائد هذا الديوان تحت ما يسمى بالغزل الصوفى وهو فنّ قائم بذاته برع فيه الشعراء الفرس إلى جانب براعتهم فی فنّ آخر هو الرباعيات فتارة يناجى الشاعر محبوبه وتارة أخرى يتّحد مع المحبوب مصورا لنا ذلک بلغة المحب الذى توحّد بمحبوبه حدّ الفناء. وهكذا بدأ هذا النهر الهادر بالتدفق فكان الشاعر يدخل فيما يشبه الغيبوبة، ويشرع فی إملاء ما تجود به قريحته على إيقاع بعض الآلات الموسيقيّه ومن حوله مريدوه يسجلون ما يقوله.

ترک الشاعر جلال الدين لنا عددا من المصنفات الشهيرة، نقسّمها إلى قسمين: آثاره المنثورة وآثاره المنظومة. أمّا آثاره المنثورة، فهى دون مستوى آثاره الشعرية كمّا وقيمة فهى: المجالس السبعة، وهو يشتمل على سبع مواعظ وخطب، ألقاها مولانا على المنابر أثناء اشتغاله بالتدريس. المكاتيب وهى مجموعة من الرسائل، كان قد كتبها إلى أصدقائه وأقربائه. كتاب فيه ما فيه. أمّا آثاره فی النظم، فثلاثة أيضا وهى: ديوان شمس تبريزى، ويشتمل على غزليات صوفية يقرب عددها من ثلاثة آلاف وخمسمائة غزل. وقد نظمه

نظما التزم فيه ببحور العروض على أبحر مختلفة، ويصل عدد أبياته إلى ٤٣ ألف بيت. فيه ملمعات بالتركية والعربية وأشعار كاملة باللغة العربية، ويشتمل أيضا على أشعار رومية. والرباعيات والمثنوى.

حياة حافظ وآثاره

الخواجة شمس الدين محمد بن بهاء الدين، المعروف بحافظ الشيرازى إمام شعراء الغزل بلا ريب. (زليخة لاتا: ٨) والملقب بلسان الغيب وترجمان الأسرار، لقّبه الدكتور إبراهيم الشواربى بشاعر الشعراء فى القرن الثامن الهجرى وفى إيران إلى يومنا هذا (حافظ الشيرازى، ١٣٧٧ش), ولد فى أوائل القرن الثامن فى مدينة شيراز عاصمة ولاية فارس جنوب إيران عاش بين عامى ١٣٢٠– ١٣٨٨م، ٧٢٠–٧٩١ق، أى بعد حوالى خمسين سنة من وفاة جلال الدين الرومى أكثر شعراء إيران الصوفيين شهرة.

رغم كل الشهرة الواسعة التى يحظى بها حافظ كشاعر, لكن تفاصيل حياته غير معروفة بدقة, وبعض الحكايات تتضمن إضافات (أسطورية) لايمكن الوثوق بها أو الاعتماد عليها. ولكن تشير أكثر المصادر إلى أن كان أبوه بهاء الدين يشتغل بالتجارة فى شيراز، وكان أصله فيما يقولون من أصفهان، أقام فى شيراز وتزوج بها فأنجب ثلاثة أولاد كان أصغرهم (شمس الدين محمد). توفى بهاء الدين واجتمع أولاده الثلاثة حول أمهم، فظلوا فى سعة من العيش، ثم فرَّقت بينهم الأيام، وذهب كل واحد منهم مذهبه، فاختل معاشهم واضطربت حالهم وبقى شمس الدين وحده مع أمه، فأصابها عسر وضيق فى الرزق مما اضطر الأم إلى أن تدفع بولدها الصغير إلى واحد من أهل محلتها ليتولاه برعايته، ويقوم على تربيته، وظل شمس الدين مع راعيه فترة من الزمن، ثم هرب منه لما لاحظ على سيده من سوء المعاملة وسوء الخلق، واشتغل خبازا، فكان يستيقظ كعادة الخبازين فى نصف الليل ويقوم بعمله إلى الفجر، ثم يشتغل بالعبادة بعد فراغه من أعماله، فإذا ارتفعت الشمس فى المساء توجه إلى مدرسة بالقرب منه، فقضى فيها قدرا من أوقات فراغه فى الدرس والتحصيل، وكان يقتصد جزءا من أجره اليومى ليدفعه إلى

معلمه أجرا لتعليمه حتى استطاع أن يكمل القرآن الكريم حفظاً. ولذا اختار الخواجة شمس الدين، لقب (حافظ) أى حافظ القرآن، وقد أحبَّ هو هذا الاسم وراح يخاطب به نفسه فى قصائده. (زليخة، لاتا: ۸) درس حافظ العلوم الدّينيّة واللغتين الفارسيّة والعربيَة وآدابهما، وقد أحاط باللغة العربيّة إحاطة تامّة بشهادة ما نظم بها، وإن قليلاً، من شعر. (المصدر نفسه: ۸ – ۹) ترک حافظ ثروة أدبية غنية، وأشعارا تبلغ نحو ثمانمائة قصيدة، جمعت فى ديوان مرتبة على حروف المعجم، مما ضيّع على الباحثين فرصة الوقوف على التطور الذى حصل لشعره، وربط القصائد بمناسباتها.

المضامين المشتركة لدى الشاعرين

عند مولانا عدد كبير من الغزليات العربيّة ضمّنها ديوانه الكبير المعروف بكليات شمس أو ديوان شمس، يقارب عددها ألف بيت. جاء بعضها عربيّا خالصا، وبعضها الآخر ملمَّعا بأبيات فارسيّة، أو تلميعا لغزليّة بالفارسيّة أو مخلوطا أحيانا بتعابير وشطور فارسيّة وتركيّة. وإنها تشكّل من مجموع شعر مولانا نسبة اثنين بالمائة فقط، فإنّ ذلک لايضيرها كمّا. إن ألف بيت من الغزل الصوفىّ جدير بالاهتمام. وهو إن دلّ على أنّ مولانا لم يكن واسع الاطلاع على ما فى تراث العربيّة قديمه وحديثه فقط، بل كان قادراً على التعبير باللغة العربية فى ميدان الشعر، وهو أمر، كما نعلم، ليس بالسهل الميسر حتى لأبناء المتبحرين فى لغتهم. ويبدو أنّ إقامته فى بلاد الشام فى طريقه إلى قونية مع والده وأسرته ثم عودته للإقامة فى دمشق وحلب، بعد استقراره فى قونية ومخالطته أهل البلاد ولاسيما العلماء والصوفيّة والشعراء يسّرت له ذلک. وربّما قصد المولوىّ إبلاغ أهل العربيّة رسالته الصوفيّة الروحيّة وهو المربّى الذى يشجع الجنس الإنسانى على التسامى نحو خالقه، إذ لم يكن ممكنا أن يقوم بمهمته باستعمال الفارسيّة فى ديار العرب، ولا سيّما فى الشام.

ففاض الشوق منه، على البديهة، بلغة القرآن، لغة إيمانه، ومحور وحيه وتفكيره ومدار تطوافه العرفانىّ فى مكان وحالة من الانجذاب لم ترها عين، ولاسمعت بها أذن

ولاخطرت ببال بشر، وإذا كان القرآن موضع لذّته، كانت العربية لسان حال هذه الملاذ. الجدير بالذكر، أيضاً، فى هذا المقام أنّ عددا كثيرا من غزليّات مولانا الرومى الفارسيّة البيان بدأها ببيت شعر عربىّ من نظمه، واستمرّ بعدئذ بالفارسيّة حتى نهايتها، إضافة إلى غزليّات كثيرة ملمّعة سار فيها هذا النحو.

وقد سار حافظ الشيرازى على النهج نفسه، وإن لم يبالغ فيه مثل مولانا، فافتتح ديوانه بشطر عربى يوازى بيتا وهذا هو المطلع:

ألا يا أيها الساقى أدر كأسا وناولها كه عشق آسان نمود أول ولى افتاد مشكلها

(حافظ، ١٣٧٤ش: غزل ١٩)

وترجمته بالعربيّة:

«ألا يا أيّها السّاقى أدر كأساً وما فيها فأوهام الغرام زهت لتورثنا مآسيه»

(عدد من المؤلفين، ٢٠٠٠م: غزل ١)

فلأن ديوانى الشاعرين شامل على مصطلحات عرفانية على شكل سواء، والمصطلح البارز عندهما هو الكأس والساقى والخمر، فبدأت الكلام بميزتهما البارزة فى أشعارهما العربية المعنون بإدارة الكأس وخطاب الساقى:

إدارة الكأس وخطاب الساقى

طلب إدارة الكأس وشرب الخمر يكون أحد ميزات الشعر الصوفى التى لاتوجد عند الشعراء الآخرين، والخمر عند حافظ ومولانا تمثال عن عشق المحبوب، فهذا هو حافظ الذى وضع مفتتح ديوانه طلب الكأس من يد الساقى لكى يتناوله منه:

ألا يا أيها الساقى أدر كاساً وناولها

كه عشق آسان نمود اول ولى افتاد مشكلها

وحيناً يخاطب الذين يريدون التلذذ من حب المحبوب باسم السكارى، ويطلب منهم شرب الصبوح:

در حلقه گل ومل خوش خواند دوش بلبل

هــات الصبــوح هبوا يــا أيها الســكارى

(حافظ، ۱۳۷۴ش: غزل ۵)

شرب الخمر والميسر فی الإسلام حرام، ولكن حافظ ومولانا نظرتهما تتغير عما نظن، ونعلم حول الخمر والساقی والخمر عندهما هو العشق بالله العظيم فحافظ يبين نظرته حوله قائلا:

آن تلخ وش كه صوفی أم الخبائثش خواند

أشــهی لنــا وأحلــی مــن قبلــة العذارى

(المصدرنفسه: غزل ۱)

فهو يرى أم الخبائث، أشهی من قبلة العذارى التی تكون معشوقة الخاصة عند الكثير من شعراء العرب.وحينا نراه يذكرها بأسماء شتی:

می‌دمد صبح وكلّه بســت سحاب الصبــوح الصبــوح يــا أصحاب

می‌چكــد ژالــه بــر رخ لالــه المــدام المــدام يــا أحبــاب

(عطائی، ۱۳۴۶ش: غزل ۲۳)

لقد نظم حافظ الكثير من الشعر فی الخمر وشربه، نذكرها ثم نهتم بمولانا وما جاء فی أشعاره من إدارة الكأس وطلب الخمر من الساقی وبيان الفرح والسرور لشربه.

پياله چيست كه بر ياد تو كشيم مدام ونحن نشرب شــربا كذلک الأقداح

(المصدرنفسه: غزل ۱۳۸)

بی می ومطرب بفردوسم مخوان راحتی فی الراح لا فی الســبيل

(المصدر نفسه: غزل ۳)

حافظ چو طالب آمد جامی به جان شيرين

حتّــی يَــذُوقَ منــه كأســا مــن الكَرامَــة

(المصدرنفسه: غزل ۶۰۸)

بیا ساقی بده رطل گرانم　　سقاک الله من کأس دهاق

(المصدرنفسه: غزل ۶۶۱)

صافی است جام خاطر در دور آصف عهد

قم فاسقنی رَحیقاً اصفی من الزّلال

(المصدرنفسه: غزل ۶۶۴)

خذ الجام لاتخشی فیه الجنان　　که در باغ جنت بود می مباح

(المصدرنفسه: غزل۶۹۹)

فی هذا السیاق، تجنباً للإطالة، نثبت غزلیّة قصیرة بالعربیّة من ستة أبیات إیضاحا لنهج مولانا الغزلیّ، بلغة لم تکن لغته الأم. قال:

ألا یا ساقیا إنی لظمآنٌ ومشتاقُ　　أدر کأساً ولاتنکر فإنّ القوم قد ذاقوا

إذا ما شئت أسراری أدر کاساً من النار　　فأسکرنی وسائلنی إلی من أنت مشتاقُ

أضاء العشقُ مصباحاً فصار اللیلُ إصباحاً　　ومن أنواره انشقّت علی الأحجار أحداقُ

فداءُ العشقِ أدوائی، ومُرُّ العشق حلوائی　　وإنی بین عشّاق أسوقُ حیثما ساقوا

خذ الدنیا وخلّینا فدنیا العشق تکفینا　　لنا فی العشق جنّاتٌ وبلدانٌ وأسواقُ

وأرواح تلاقینا وأرواحٌ سواقینا　　وخمرٌ فیه مدرارٌ وکأسُ العشق رقراقُ

(مولوی، ۱۳۷۸ش: غزل ۲۲۶۹)

الحکمة عند الشاعرین:

شعر مولانا وحافظ کذلک ملیء بالحکمة والتصوف، ومن الممکن أن نقول أنّ الشاعر الصوفی هو شاعر الحکمة أیضاً.فمن أقوال حافظ فی الحکمة:

وفا خواهی جفا کش باش حافظ　　فإنّ الرّبحَ والخُسرانَ فی التَّجر

الصَبرُ مرّ والعُمرُ فان　　یا لیت شعری حتّام ألقاه

هر چند کآزمودم از وی نبود سودم　　مَن جَرَّبَ المجرّب حلّت بِه النّدامة

دع التّکاسل تغنم فقد جَرَی مثلٌ　　که زاد راهروان چستی است وچالاکی

(حافظ، ۱۳۷۴ش: غزلیات ۲۵۱ -۴۱۸ -۴۲۶ -۴۶۱)

ومن أشعار مولانا فی الحکمة:

سرسبز وخوش هرذره‌ای نعره زنان هرذره‌ای
کالصبرمفتـاح الفرج والشـکرمفتاح الرضا
السـلم منهاج الطلب الحلم معـراج الطرب
والنار صـراف الذهب والنـور صراف الولا
العشـق مصباح العشـا والهجر طباخ الحشا
والوصل ترياق الغشا يا من على قلبی مشی

(مولوی، ۱۳۷۸ش: غزل ۳۳)

اسباب عشرت راست شد هرچه دلم می خواست شد
فالوقـت سـيف قاطـع لاتفتكـر فيمـا مضـی

(المصدر نفسه: غزل ۲۶۱)

أيـا فؤاد فذب فـی لظی محبته　　أيا حياة فدومی فقد أتاک خلود
ترید جبر جبير الفؤاد فانكسرن　　ترید نحله تاج فلاتنی به سجود

(المصدرنفسه: غزل ۱۰۱۳)

التخلّص عند الشاعرين

جرت العادة عند الشاعرين الصوفيين، أن يذكرا لَقَبهما الشعریّ فی البيت الأخير من الغزل، أو فی البيت قبل الأخير، ويسمّی هذا التخلّص.

وأما مولانا فكثيرا ما نری أنّه تخلص بشمس تبريز، وأحيانا بالصمت، والسكوت. (إبلاغ الأفغانی، ۱۹۸۷م: ۲۴) وهذا ما نراه على سبيل المثال فی أبياته التالية من ديوان غزلياته:

يـا شـمس تبريـز قاضـی وحالی　　والله أعلـم، والله نالـی
فتبريـز وشـمس الديـن قصـدی　　أناديهـم، خذونـی أوصلونـی
قد نطق الهوی اسكتوا استمعوا وأنصتوا　　إن لسـان نطقنـا عنـد لقـاه ألكن
ألا فاسـكت وكلمهـم بـه صمـت　　فـإن الصمـت للأسـرار أبيـن

(مولوی، ۱۳۷۸ش: غزليات ۳۳۵۸ – ۳۱۵۶ – ۳۱۱۰ – ۲۴۲۵ – ۲۲۷۳– ۲۲۶۳ – ۲۱۲۰)

سـکوتی عند أحرار غدا کشـاف أسرار
وراء الحرف معلوم بیان النور فی التعیین
سـکتنا یا صبا نجد فبلـغ أنت ما تدری
وترجـم ما کتمناه لأهل الحی حتی حین

(المصدر نفسه: غزل ۲۰۸۶)

الصمت أولـی بالرصد فی النطـق تهییج العدد
جـاء المدد جاء المدد اسـتنصروا یا مسـلمین
اسـکت یـا صاح کفـی واعـف عفـا الله عفا
هـات رحیقا بـه صفا قد وصـل الوصل وصل

(المصدرنفسه: غزل ۱۸۰۰- ۱۳۶۰)

وهذا ما نراه تقریبا فی جمیع غزلیات شمس الدین محمد الذی تخلص فیها بحافظ، حتی إلی أن اشتهر الیوم بهذا التخلص ولایعرفه الناس باسم شمس الدین، فإن قرأت غزلیة علی سبیل المثال، ثم قلت هذه من غزلیات شمس الدین، فیرد أکثرهم القول بأنها من غزلیات حافظ ولیس شمس الدین، وبل نحن ماسمعنا بهذا الاسم من قبل.

حضوری گر همی‌خواهی از او غایب مشو حافظ
متـی مـا تلق مـن تهـوی دع الدنیـا وأهملها
حافـظ بـه کنـج میکـده دارد قـرار گاه
کالطیـر فـی الحدیقـة اللیـث فـی الأجـم
لکـل مـن الخـلان ذخـر ونعمـة
وللحافـظ المسـکین فقـر ومغـرم
دل حافـظ شـد انـدر چیـن زلفـت
بلیـل مظلـم والله هـادی
بـه یمـن همـت حافـظ امید هسـت کـه باز
أری أسـامر لیـلای لیلـة القمـر

چنـد پویـد بـه هـوای تـو ز هر سـو حافظ
یَسَّـرَ اللهُ طَریقـاً بـک یـا مُلتَمِسـی

(عطائی، ۱۳۴۶ش: غزلیات ۱۹ – ۴۹۳ – ۵۹۲ – ۶۰۸ – ۶۲۵ – ۶۴۹ – ۶۵۵)

الدعاء لمقام وبلاد المحبوب

من الميزات المشتركة التی نراها عند حافظ ومولانا هی دعاء الخير لبلد الحبيب، وهذه الميزة تشير إلی أنّ مولانا وحافظ، لقد حظا حظا سواء من الأدب العربی، لأن كثيرا من أشعار شعراء العرب مملوءة بهذا الوصف وهذا النوع من الدعاء، يظهر بمصطلحات كحماک الله، أو سقاک الله، فهذا هو حافظ الذی يدعو أحسن الدعاء لحبيبه، ولمن يمدحه ويذكر فراقه يرجو لقاءه:

حمـاک الله عن شـرّ النوائب جـزاک الله فـی الدارين خيرا

(المصدرنفسه: غزل ۱۲)

وكما ينشد فی موقع آخر:

فـی جَمَالِ الْكَمَـال نِلتَ مُنی صَـرَفَ اللهُ عَنَک عَيْـنَ كَمَال
يـا بَريـدَ الحِمـی حَمَاک الله مَرحَبَـا مَرحَبَـا تَعَـال تَعَـال

(المصدر نفسه: غزل ۴۴۴)

ويقول أيضا:

رَبِيعُ العُمرِ فِی مَرعَی حِمَاكُم حَمَـاکَ اللهُ يا عَهَـد التَّلاقِی

(المصدرنفسه: غزل ۶۶۲)

وهذا ما نراه عند مولانا، فهو يرجو كل الخير لبلاد المحبوب وينظم:

سقی الله أرضا شمس دين يدوسها كـلا الله تبريـزا بأحسـن مـا كلا
نـور الله زمانا حازنـا الوصل أمانا وسـقی الله مكانـا بحبيـب التقينا
فظفرنـا بقلـوب وعلمنـا بغيوب فسـقی الله وسـقيا لعيـون رمقونا

(مولوی، ۱۳۷۸ش: غزليات ۲۶۹ –۲۷۲ – ۲۷۸)

المدح عند الشاعرين

مدح حافظ بعض الحكام والسلاطين ووزراءهم فی عصره فمنها هذه الأبيات:

أيا من علا كل السلاطين سطوة ترحـــم جــزاک الله فالخير مغنم
لكل مـــن الخلان ذخـــر ونعمة وللحافظ المســـكين فقر ومغرم

(فروخ، ۱۹۸۱م: ۸۱۹)

أحمَدُ اللهَ عَلی مَعدِلَة السُّـــلطانِ أحمد شيخ اويس حسن ايلخانی

(عطائی، ۱۳۴۶ش: غزل ۶۸۴)

وأما مولانا فليس شاعرا مادحا للحكام، بل هو يمدح كل من له تعلق بالله وحده، ويمكن أن نقول شخص الممدوح عند مولانا هو الذی عنده تقوی أكثر من غيره، فهو يمدح المتقين فقط، فنراه يصف ممدوحه ويری كل شیء أمامه كالهباء:

يا ســـائلی عن حبه أكرم بـــه أنعم به كل المنی فی جنبه عند التجلی كالهبا

(مولوی، ۱۳۷۸ش: غزل ۳۳)

أو أحيانا يصفه أفضل من الشمس وإلخ:

يا قمرا طالعـــا فی الظلمات الدجی نور مصابيحه يغلب شمس الضحی

(المصدر نفسه: غزل ۲۱۱)

ويری حبيبه حينا صاعقة أو نارا:

أكنـــت صاعقـــة يا حبيـــب أو نارا فمـــا تركـــت لنـــا منـــزلا ولا دارا
بک الفخار ولكن بهيت من ســـكر فلســـت أفهم لی مفخـــرا ولا عارا
متی أتوب مـــن الذنب توبتی ذنبی متی أجار إذا العشق صار لی جارا
يقول عقلی لاتبدلـــن هدی بردی أمـــا قضيت به فی هـــلاک أوطارا

(المصدر نفسه: غزل ۲۱۸)

المدح والوصف عند مولانا كثير، ومن الممكن أن نقول إنّ أكثر من سبعين بالمائة من كليات شمس، يدور حول مدح حبيبه العارف والصوفی المتقی أو مدح الذات الأزلی الأبدی.

ذكر الأطلال وآثار الحبيب وغداة البين

هذه هی إحدی ميزات شعرهما الخاصة التی تشير إلی تأثر مولانا وحافظ بالشعر العربی ولاسيما الشعر العباسی، ونحن نعلم أن وصف الأطلال والدمن والبكاء عند غداة البين، دخل أول مرة فی الشعر الجاهلی، ومن الممكن أن نقول إنّ مولانا وحافظ تأثرا بهذا الشعر أولا، وبالشعر العباسی ثانياً. علی كل حال، فهذا هو حافظ الذی يتكلم عن الدار والديار، كما تكلم أكثر الشعراء الجاهليين كلبيد بن ربيعة، ونراه أحيانا يذكر الأماكن الخاصة المذكورة عند شعراء العرب:

مَا لسَلمَی ومَن بذِی سَلَم　　أينَ جيَرانُنَا وكَيفَ الحال
عَفَتِ الدَّارُ بَعْدَ عافيةٍ　　فَاسأَلُوا حالَهَا عَنِ الأطلال

(عطائی، ۱۳۴۶ش: غزل ۴۴۴)

وينشد أيضا:

بُشرَی إذا السَلامَة حَلَّت بذِی سَلَم　　لله حَمدٌ مُعتَرِف غَايَةَ النعَم

(المصدر نفسه: غزل ۴۴۹)

ونری أنّه يورد أسماء العربيات فی شعره، مثل سلمی:

سَبَت سَلمَی بصُدغَيها فُؤَادی　　ورُوحِی كُلَّ يَومٍ لِی يُنَادِی
أمَن انكرتَنی عَن عِشقِ سَلمَی　　تزاول آن روی نهكو بوادی
سُلَيْمَی مُنذُ حَلَّت بالعرَاق　　ألاقِی مِن نَواها مَا ألاقِی
بسا كه گفته‌ام از شوق با دو ديده‌ی خود　　أيا مَنازِلَ سَلمَی فَأَينَ سَلمَاكِ

(المصدرنفسه: غزل ۶۲۵ -۶۶۲)

ويری حافظ اهل نجد مدركون حاله:

يا راكباً تبری عن موثقی وهادی　　إن تلقی أهل نجد كلم بحسب حالی

(المصدرنفسه: غزل ۶۶۴)

ومن الأطلال فی شعره نشير إلی الأراك:

سَلامُ اللهِ مَا كَرَّ اللَّيَالِی　　وَجَاوَبت المَثَانِی والمَثَالِی

عَلَـی وَادِی الأراکِ ومَـن عَلیَهـا ودارٍ بِاللّـوی فَـوقَ الرِّمـالِ
أتَت رَوَائِـح رَندِ الحِمَـی وَزَاد غَرامی فدای خاک در دوست باد جان گرامی
پیام دوست شنیدن سعادت است و سلامت مَـنِ المُبَلـغُ عَنّی إلی سُـعادَ سَـلامی
إذا تَغَـرَّدَ عَـن ذِی الأراکِ طَائِـرُ خَیرٍ فَلا تَفَـرَّدَ عَـن رَوضِها أنیـنُ حَمامی

(المصدرنفسه: غزل ۶۶۷ – ۶۷۲)

ویتحدث الشاعر عن مشاعره حین یلاقی دار الحبیب خالیة عنه:

که در فراق هماواز خویشـتن میگفت أیـا منـزل سـلمی أیـن سـلماک

(المصدرنفسه: دوبیتی ۱۶)

أما مولانا، فنراه أیضا یتکلم عن الأطلال ویتحدث عن بکائه غداة البین:

بکت عینـی غداة البین دمعا وأخـری بالبکا بخلت علینا
فعاقبـت التی بخلـت علینا بـأن غمضتهـا یـوم التقینا

(مولوی، ۱۳۷۸ش: غزل ۱۰۹)

ونری فی بعض أبیاته اسم جماعات کإخوان الصفا:

وگرت رزق نباشد من ویاران بخوریم فانصتـوا واعترفوا معشـرا أخوان صفا

(المصدر نفسه: غزل ۲۶۳)

الحب الإلهی

الحب هو محور العرفان والأدب بشکل عام، وهو اللغة الوحیدة التی یتحدث بها عرفاء الإسلام، بل وکافة المدارس العرفانیة. ولهذا لیس غریبا أیضا أن یکون الحب أهم رسالة یوجهها دیوانا حافظ ومولانا إلی القراء.

والحب فی الأدب الفارسی المنظوم له مظهران بارزان: الأول الحب الإنسانی الذی نلمحه فی مثنویات رودکی وعنصری ونظامی، والثانی الحب الإلهی والذی ظهر لأول مرة فی مثنویات سنائی والعطار، وبلغ ذروته فی مثنویات جلال‌الدین الرومی (مولوی). والحب الإلهی – أو العرفانی – ذو هدفین عادة: الأول هو التخلق بأخلاق الله، وتهذیب النفس، وإیصالها إلی مرحلة الکمال، والثانی هو الفناء فی الله.

أما حافظ، كما ذكرنا فی بداية البحث، فبعض الناس يظنون أن حبه إنسانی، ويری بعضهم حبه إلهيا خالصا، ولكن مولانا، فأكثرهم معتقدون أنّ حبه إلهی، وينشد مولانا نفسه حول حبه:

الله مـراد لـی والله مريـدی — فرقت علـی الله عتيقـی وجديدی
لا خيـر ولا مير، سـوی الله تعالی — فالغيبـة عنـه نفسـا غيـر سـديد
لا أرفـع عنـه بصری طرفـة عين — لا أمنـع عن رب طريفـی وتليدی
مـرا هـو العيـن وبالعيـن تطـری — روحی، وعمادی، وعتادی، وعتيدی
صالحت وبايعت مع العشق علی أن — يأتينـی محيـاه نصيری وشـهيدی
لا أقسـم بالوعـد وبالصـادق فيه — أن قد ملأ العشـق مـرادی بمريدی

(المصدرنفسه: غزل ۳۱۳۶)

النتيجة

تأثر كبار الشعراء فی إيران بالشعر والشعراء العرب مع ورود الفاتحين العرب المسلمين. واختلاط فن الشعر الفارسی بالعربی مثل التغزل باللغة العربية الذی نشاهده فی ديوانی مولانا وحافظ. ورأينا وجود الشعراء الإيرانيين بقوة فی عرصات الشعر العربی الذی أصبح اليوم سببا لاهتمام الباحثين العرب بإيران وعلمائها. كما لاحظنا مقدرة مولانا وحافظ فی إنشاد شعر حیّ مازال يبقی علی ألسنة العشاق سواء يكون عشقهم مجازيا أو حقيقيا.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

إبلاغ الأفغانی، عناية الله. ۱۹۸۷م. *جلال الدين الرومی بين الصوفية وعلماء الكلام*. بيروت: الدار المصرية اللبنانية.

الرومی، جلال الدين. ۱۹۸۰م. *فيه ما فيه، أحاديث جلال الدين الرومی، شاعر الصوفية الأكبر*. ترجمه عن الفارسية: عيسی علی العاكوب. دمشق: دار الفكر.

زلیخة، علی عباس. لاتا. *غزلیات مختارة من دیوان حافظ*. ترجمة شعریة إلی اللغة العربیة. لانا.
حافظ الشیرازی، شمس الدین. ۱۳۷۷ش. *دیوان، ترجمه وشرحه إبراهیم أمین الشواربی*. طهران: مهراندیش.
حافظ الشیرازی، شمس الدین. ۱۳۷۴ش. *دیوان غزلیات مولانا شمس الدین محمد خواجه حافظ شیرازی*. بکوشش دکتر خلیل خطیب رهبر. تهران: انشارات صفی علیشاهی.
عطائی، مسعود جنتی. ۱۳۴۶ش. *سفینه حافظ*. تهران: چاپخانه حیدری.
فرزین پور، نادر. ۱۳۷۵ش. *آفتاب معنوی، چهل داستان از مثنوی جلال الدین محمد مولوی*. تهران: انتشارات امیرکبیر.
فروخ، عمر. ۱۹۸۱م. *تاریخ الأدب العربی*. لبنان: دار العلم للملایین.
عدد من المؤلفین. ۲۰۰۰م. *مختارات من الشعر الفارسی، منقولة إلی العربیة*. الکویت: دار البابطین.
مولوی، جلال الدین محمد. ۱۳۷۸ش. *کلیات شمس تبریزی*: مطابق با نسخه تصحیح شده أستاد بدیع الزمان فروزانفر. تهران: پیمان.
مولوی، جلال الدین. ۱۳۷۴ش. *کلیات دیوان شمس تبریزی*، با مقدمه أستاد جلال الدین همائی، به اهتمام منصور شفق. تهران: انتشارات صفی علیشاهی.
مولوی، جلال الدین. لاتا. *مثنوی معنوی مولانا جلال الدین*، به کوشش دکتر محمد رضا برزگر خالقی. تهران: انتشارات زوّار.
الیافی، عبدالکریم. لاتا. *الشرق والغرب والتواصل بینهما*، حافظ الشیرازی ویوهان فون غوتی. مجلة مجمع اللغة العربیة بدمشق، المجلد ۸۰. الجزء الثانی.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی